

حضور التراث وانعكاساته في شعر عز الدين المناصرة

The Presence of Heritage and its Reflections in the Poetry of Izz al-Din al-

Manasra

* أسماء عروة

assma Aroua

مخبر المتخيل النقدي والدراسات الحداثية في اللغة والفكر والأدب.

جامعة عباس لغرور - خنشلة (الجزائر)

Abbas Laghrour University of Khenchela (Algeria)

aroua.assma@univ-khenchela.dz

تاريخ النشر: 2026/03/02

تاريخ القبول: 2025/11/12

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

ملخص البحث

يمثل الشاعر عز الدين مناصرة أحد أعلام الشعر العربي المعاصر الذين أسهموا بفاعلية في بلورة ملامح الحداثة الشعرية، حيث تمكن من صياغة تجربة إبداعية فريدة تقوم على جدلية الأصالة والمعاصرة، فقد استطاع مناصرة أن يستثمر المخزون الثقافي للتراث العربي بمختلف أبعاده الدينية والتاريخية والأسطورية والشعبية، بوصفه منبعاً ثرياً لإعادة إنتاج المعنى وصياغة رؤية شعرية معاصرة، تتجاوز حدود التوظيف التقليدي القائم على استدعاء الماضي بدافع الحنين، لتوظف الرموز والدلالات التراثية في إنتاج خطاب شعري يتفاعل مع قضايا الواقع ويُعيد قراءة الذاكرة الجمعية من منظور حداثي مفتوح على آفاق التجريب الفني والجمالي.

وتسعى هذه الدراسة إلى استقصاء مظاهر حضور التراث في شعر مناصرة، والكشف عن انعكاساته الفكرية والجمالية في نصوصه، من خلال تحليل أبرز الآليات الفنية التي اعتمدها، وفي مقدمتها الرمز والأسطورة والتناص، بوصفها أدوات بنائية شكّلت نسيجاً مركزياً في تجربته الشعرية وأسهمت في إثراء بنيتها الدلالية والفنية؛ كما تبين الدراسة كيف أسهم هذا التفاعل الخلاق مع التراث في إضفاء بعد فكري وجمالي مميّز على شعر مناصرة، ما جعله صوتاً شعرياً حداثياً يجمع بين العمق المعرفي والابتكار الفني.

الكلمات المفتاح: التراث العربي ؛ الحداثة الشعرية ؛ الرمز ؛ الأسطورة ؛ التناص ؛ بنية القصيدة.

Abstract :

The poet Izz al-Din Manasrah is considered one of the prominent figures of contemporary Arabic poetry who actively contributed to shaping the features of poetic

* أسماء عروة: aroua.assma@univ-khenchela.dz

modernism, He succeeded in crafting a unique creative experience built on the dialectic of authenticity and modernity Manasrah skillfully utilized the cultural reservoir of Arab heritage in its diverse religious, historical, mythical, and folkloric dimensions viewing it as a rich source for re-generating meaning and constructing a contemporary poetic vision, This vision transcends the traditional employment of heritage, which is often motivated by nostalgia, and instead engages its symbols and connotations to produce a poetic discourse that interacts with present-day issues and reinterprets collective memory from a modernist perspective open to artistic and aesthetic experimentation

This study seeks to explore the manifestations of heritage in Manasrah's poetry and reveal their intellectual and aesthetic implications by analyzing the main artistic techniques he employed—most notably symbolism, mythology, and intertextuality, These techniques served as central structural elements within his poetic experience, enriching its semantic and artistic dimensions. The study also demonstrates how this creative interaction with heritage added a distinctive intellectual and aesthetic depth to Manasrah's poetry, establishing him as a modern poetic voice that combines intellectual profundity with artistic innovation

Keywords: Arab heritage; poetic modernism; symbolism; mythology; intertextuality; poem structure.



مقدمة

يُعَدُّ الشاعر عز الدين المناصرة واحداً من أبرز الأساء الشعرية التي أثرت في مسار الشعر العربي الحديث، إذ تمكن من بلورة تجربة شعرية خاصة اتسمت بفرادتها وجراتها في تجاوز المألوف والبحث عن آفاق فنية ومعرفية جديدة، لقد استطاع المناصرة أن يخطّ لنفسه مساراً إبداعياً مغايراً جمع فيه بين وعيه بالتراث العربي بوصفه ذاكرة ثقافية جماعية، وبين نزوعه الواضح إلى التجديد والافتتاح على آليات الحداثة الشعرية ومن أبرز معالم هذه التجربة تفاعله الخلاق مع الموروث، حيث تعامل معه لا باعتباره مجرد خلفية زمنية أو مرجعية جامدة، بل باعتباره مادة حية قابلة لإعادة القراءة والتأويل، ومن ثم إعادة إنتاجها في سياق معاصر يمنحها دلالات جديدة تتناغم مع قضايا الحاضر وأسلته. لقد وظّف المناصرة الرموز التراثية الدينية منها والأدبية والأسطورية والشعبية بوصفها أدوات فنية وجالية تتيح للشاعر بناء نصوصه على أكثر من مستوى الإيجاء والدلالة، ومستوى التناص مع الذاكرة الثقافية للأمة، هذا التوظيف المكثف لم

يكن مجرد استدعاء زخرفي، بل انطوى على وعي نقدي وجالي يعكس سعة اطلاع الشاعر، وثراء ثقافته وقدرته على تحويل الموروث إلى طاقة إبداعية تُسهم في تشكيل هوية شعرية متجددة ومن هنا حظيت تجربة المناصرة باهتمام ملحوظ لدى النقاد والباحثين، الذين تناولوا أثر التراث في شعره من زوايا متعددة، مؤكدين تميز هذا الجانب في مشروعه الشعري.

وانطلاقاً من هذه الرؤية جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على حضور الرموز التراثية في شعر عز الدين المناصرة، ولتبحث في مدى إسهام هذا التوظيف في تأصيل تجربته الشعرية ومنحها قيمتها الفنية والفكرية؛ ومن ثم تبلورت إشكالية البحث في السؤال الرئيس الآتي: إلى أي مدى ساهمت الرموز التراثية في تأصيل وتجويد شعر عز الدين المناصرة؟.

أولاً: مفهوم التراث

يُعدّ التراث من أبرز المفاهيم التي أثارت اهتمام الباحثين في مجالات الفكر الإنساني عموماً، والفكر العربي على وجه الخصوص، نظراً لما يحمله من دلالات متشابهة تتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل في آن واحد فالتراث ليس مجرد مخزون ثقافي أو تاريخي منقطع الصلة بالواقع، بل هو امتداد لهوية الأمة وذاكرتها وجسر يربط الأجيال المتعاقبة بعطاءها الحضاري، مما يمنحه أهمية خاصة في الدراسات الفكرية والأدبية الحديثة؛ هذا الاهتمام الواسع يطرح سؤالاً محورياً: ما المقصود بالتراث؟ وكيف تبلور هذا المفهوم عبر الحضارات المختلفة؟

أولاً. التراث في الفكر اليوناني

إنّ مفهوم التراث في العصر اليوناني ارتبط بما يُسمى بـ"اللفظة الإفرنجية" ومعناه فعل النقل وقد استخدم هذا المصطلح دينياً للدلالة على اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل من غير نظر إلى الدليل، وكأنّ هذا المُتبع يجعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه ومن خلال هذا التعريف يتضح أنّ التراث في الفكر اليوناني لم يكن يُنظر إليه بوصفه عملية إبداعية أو تأويلية، بل كنوع من النقل المباشر لما تركه السابقون من أقوال وأفعال، سواء كانت مرتبطة بالعادات أو التقاليد أو الطقوس الدينية، وهو ما جعل مفهوم التراث يترادف لديهم مع النقل ويقابل التأويل باعتباره فعلاً عقلانياً تجديدياً³

ثانياً: التراث في اللغة العربية

أما في السياق العربي فإنّ مفهوم التراث اشتقّ من مادة (و ر ث) التي تدل في أصلها اللغوي على ما يُخلفه السلف للخلف من أموال أو أشياء مادية وقد عرّفت المعاجم القديمة "التراث" بوصفه ما يرثه الإنسان عن والديه أو أقاربه من مال أو ملك، بينما فُرق بعض اللغويين بين "الميراث" و"الإرث" من جهة و"الورث" من جهة أخرى فجعلوا الأول خاصاً بالأموال والثاني مرتبطاً بالحسب والنسب ويلاحظ أن لفظ "تراث" كان أقلّ استعمالاً من بقية المشتقات، إذ ذهب بعض اللغويين إلى أنّ أصله واوي (وراث) ثم تحوّلت الواو إلى تاء للتخفيف ليأخذ شكله المستعمل حالياً غير أنّ دلالة التراث في الفكر العربي الحديث توسعت لتشمل كل ما وصل إلينا منذ العصور القديمة من منجزات مادية ومعنوية سواء أكانت دينية أو أدبية أو فكرية أو ثقافية أو أخلاقية، ليصبح التراث بذلك ليس مجرد محفوظات تاريخية جامدة، بل عنصراً فاعلاً في بناء الهوية الثقافية واستمرارية الوعي الجمعي للأمة⁴.

إذا كان التراث في الفكر الإنساني قد ارتبط بمفهوم النقل والمحافظة على ما تركه السابقون، فإن اللغة العربية بدورها قد أولت هذا المفهوم اهتماما خاصا، إذ حملت دلالات أصيلة تعكس التصورات الثقافية والاجتماعية التي رافقت نشأتها ومن هنا فإن الوقوف على المعنى اللغوي لكلمة "تراث" يساهم في فهم لجذور هذا المفهوم في الثقافة العربية. "ولفظ التراث في اللغة العربية ما ورد من مادة (و ر ث)، وتجعله المعاجم القديمة مرادفاً للإرث أو على ما يرثه الإنسان من والديه من مال أو الورث والميراث وهي مصادر تدل، عندما تُطلق اسما حَسَبِ ، وقد فرق بعض اللغويين القدامى بين الورث والميراث على أساس أنها خاصان لمال وبين الإرث على أساس أنه خاص لحسب، ولعل لفظ تراث هو أقل هذه المصادر استعمالا وتداولاً عند العرب الذين جمعت منهم اللغة ويلتمس اللغويون تفسير حرف التاء في لفظ تراث فيقولون أن أصله واو".²

يلاحظ من هذا التعريف اللغوي أن مفهوم التراث في العربية كان في بدايته محدودا بالميراث المادي والحسي، ثم تطور ليشمل كل ما يورثه السلف للخلف من قيم معنوية وثقافية؛ كما أن الاختلافات اللغوية بين "الإرث" و"الميراث" و"التراث" تعكس ثراء دلالي يدل على عمق تصور العرب لمفهوم الامتداد الحضاري عبر الأجيال.

ويعتبر التراث من أهم المكونات الثقافية والحضارية التي تعبر عن هوية الشعوب وتجاربها المتراكمة عبر الزمن فهو ليس مجرد مجموعة من النصوص أو الأفكار القديمة بل هو مخزون غني يمتد ليشمل الجوانب الدينية والأدبية والفكرية والثقافية والفنية والأخلاقية التي تشكل أساسا لفهم الحاضر وبناء المستقبل و يتطلب فهم التراث لكونه مادة حية يمكن الاستفادة منها وتوظيفها في إطار التطور الحضاري.

"إلا أننا نغني بالتراث كل ما وصل إلينا منذ أقدم العصور من عطاء متعدد المضامين، سواء أكان دينياً أم أدبياً أم فكرياً أم ثقافياً أم فنياً أم أخلاقياً نستعين به في مختلف مراحل المسيرة الحضارية للأمة؛ وهذا يعني أن التراث ليس نصوصاً جامدة تُحفظ في مصادرنا القديمة، ولا هو "متحف للأفكار" نكتفي بالفخر بها والتأمل في جمالها ونقف أمامها في انبهار، وندعو الآخرين إلى الاكتفاء بمشاهدتها كسياحة فكرية بل إن التراث نظرية للعمل وموجه للسلوك وذخيرة قومية قابلة للاكتشاف والاستغلال والاستثمار في سبيل إعادة بناء الإنسان وتعزيز علاقته بالأرض"³ يتضح من هذا التعريف أن التراث لا يقتصر على كونه إرثاً ماضوياً يحفظ في الذاكرة أو الكتب فقط بل هو مورد حيوي يستدعي التعامل معه بوعي نقدي وإبداعي إذ يجب أن يكون التراث أساساً لبناء الحاضر وتوجيه المستقبل، من خلال إعادة قراءته وتوظيفه بما يتناسب مع متطلبات العصر حيث يصبح التراث جسراً بين الماضي والحاضر ينبثق منه إلهام لتجديد الفكر والسلوك المجتمعي.

وإن التعامل مع التراث لا يقتصر على حفظه أو ترديد مضامينه، بل يتطلب استيعاب أبعاده وإعادة صياغته بشكل يتلاءم مع حاجات العصر؛ ويُعد الشعر أحد أبرز المجالات التي تسمح بإعادة توظيف التراث، إذ يمتلك الشاعر القدرة على المزج بين الماضي والحاضر، فينتج خطاباً فنياً جديداً يجمع بين الأصالة والمعاصرة. "والتراث بهذا المعنى مصدر غني ينبغي للشاعر أن يأخذ منه من منطق التناص معه حين يستطيع من خلاله إذابة مضامين الموروث في بوتقة جديدة تصدر باسمه وباسم عصره، ومن هنا تظل الصورة التراثية ذات قيمة رائعة من خلال

مرورها في ذاكرة الشاعر، بل من خلال استقرارها لديه في لا وعيه لتظل جزءا لا شعوريا وهي آنذاك تظل ملكا له وحقا مباحا"⁴

يؤكد النص على أن التراث ليس مادة جامدة، بل طاقة إبداعية يمكن للشاعر أن يوظفها من خلال آلية التناس، حيث يتم استحضار الصور والأفكار القديمة وصهرها في رؤية جديدة تعبر عن هوية العصر وهذا يفتح المجال أمام إنتاج نصوص أدبية متجددة، تحمل روح الأصالة دون أن تفقد ارتباطها بالواقع الراهن، ما يجعل التراث أداة تحفيز للفكر والإبداع، لا مجرد مرجعية تاريخية.

ولكي يكون التعامل مع التراث مثمرا، فلا بد من امتلاك وعي عقلي رصين يحيط بدلالاته المتنوعة، سواء كانت تاريخية أو دينية أو أدبية أو شعبية أو أسطورية، بحيث يتمكن المتعامل معه من حسن توظيف رموزه واستثمارها توظيفا إبداعيا قائما على التناس البناء، وهو ما يشكل في جوهره إحياء للتراث القديم وإعادة بعثه بروح جديدة.

ثانيا: الرموز التراثية في شعر عز الدين المناصرة

يحظى التراث بمكانة محورية في الدراسات النقدية الحديثة، إذ يُنظر إليه باعتباره مخزونا ثقافيا ورمزيا تتجذر فيه روافد الفكر والإبداع، وتشكل امتدادا حيا لوجدان الأمة وذاكرتها التاريخية فهو ليس مجرد بقايا ماضٍ مضى، بل طاقة فاعلة تتجاوز حدود الزمن، لتظل قادرة على الإسهام في بناء الحاضر واستشراف المستقبل هذا الإدراك لأهمية التراث جعل منه مادة ثرية للباحثين، سواء في مجالات الفكر أو الأدب أو الفنون، إذ يُستعاد ويُعاد توظيفه وفق رؤى معاصرة تعكس تحولات الوعي الجمالي والفكري للمبدعين.

و تمثل تجربة الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة نموذجا بارزا لحضور التراث في الشعر العربي الحديث، حيث استطاع المناصرة أن ينهل من معين التراث الديني والتاريخي والشعبي والأسطوري، ليعيد إنتاجه شعريا بلغة معاصرة تعكس رؤيته الفكرية والإنسانية وقد شكّلت الرموز التراثية لديه أداة فنية وفكرية مكنته من بناء خطاب شعري يربط الماضي بالحاضر، ويعيد قراءة الهوية العربية والفلسطينية في سياق الصراع الثقافي والوجودي. وقد كان كتاب «التواصل بالتراث في شعر عز الدين المناصرة» للباحث صادق عيسى الحضور من أهم الدراسات التي تناولت هذا الجانب في شعر المناصرة إذ قام الحضور بقراءة منهجية لأعماله الشعرية، واستخلص أبرز الرموز التراثية التي وظّفها المناصرة، مبرزاً الأبعاد الجمالية والفكرية لهذا التوظيف، وما ينطوي عليه من دلالات تتجاوز حدود الإحالة التاريخية إلى فضاءات الإبداع الشعري الحداثي.

وانطلاقا من هذه الأهمية فإن دراسة الرموز التراثية في شعر المناصرة تمثل مدخلا أساسيا لفهم تجربته الشعرية، خاصة وأن هذه الرموز تتوزع بين ما هو ديني يعكس الانتماء الروحي وتاريخي يوثق لملاحم الأمة وصراعاتها وشعبي يستعيد الموروث الثقافي اليومي وأسطوري يفتح النص الشعري على رموز كونية متجاوزة للواقع المباشر إن هذا التعدد في منابع التراث يجعل من تجربة المناصرة نموذجا لإبداع شعري معاصر استطاع أن يجعل من التراث مادة حية للتفاعل الفني والفكري لا مجرد عنصر زخرفي أو تكرار نمطي للموروث القديم.

1. الرمز الديني في شعر عز الدين المناصرة

يحضر الرمز الديني في شعر عز الدين المناصرة بوصفه بعدا فنيا وثقافيا يثري التجربة الشعرية ويمنحها أفقا رمزيا متجاوزا للواقع المباشر فقد استلهم المناصرة النصوص القرآنية والشخصيات الدينية ليدعم تجربته الوجدانية والفكرية وليجسد رؤيته تجاه القضايا الإنسانية والوطنية.

1.1. الرمز القرآني

من أبرز الرموز التي وظفها المناصرة اقتباسه من النص القرآني الكريم إذ يقول:

طُفْتُ المَدَائِنَ: بَعْضُهُمْ قَذَفَ القِصَائِدَ من عِيون البُشْعَرِ يرثي والدي
والآخرون تنكروا: اذهب ورُبُّكَ قَاتِلًا كَانَهُمْ مَا مَرَّغُوا تلك الذقونَ على فُتَاتِ مَوَائِدِي⁵

يستند الشاعر هنا إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: 24).

هذه الآية الكريمة تأتي في سياق موقف بني إسرائيل من دعوة موسى عليه السلام لدخول الأرض المقدسة، حيث تخلوا عنه وتركوه وحيدا المناصرة يوظف هذا السياق ليُعبر عن خذلان الأمة العربية له ولل قضية الفلسطينية عامة، وكأنه يرى نفسه في موقف شبيه بموقف موسى عليه السلام، إذ ترك وحده في مواجهة أعباء النضال من أجل الأرض والوطن

الاقتباس القرآني هنا ليس مجرد تزيين بل هو توظيف دلالي يعمق الموقف الشعوري ويكسب النص بعدا حضاريا وتاريخيا.

2. رمز نوح عليه السلام

كما يوظف المناصرة شخصية نوح عليه السلام بوصفها رمزا للصبر والتحمل والانتظار الطويل من أجل الخلاص فيقول:

بقيتُ أراقبُ بحراً سيّاني
بقيتُ على صخرها مُرهقا مثل نوح
بقيتُ على صخرها حائرا
غاب عني الدليلُ
وغابَتْ شُمُوشُ الوضوح
يُأزخني الثلجُ في شهر تموزَ
ثم ثأزخني الشمسُ في شهر مارس... كالحُب⁶

نوح هنا ليس مجرد شخصية دينية تاريخية، بل رمز إنساني للصبر على الشدائد وانتظار الفرج الإلهي يوحى الشاعر من خلاله برغبته في النجاة من واقع مأزوم إلى فضاء جديد يحقق فيه أحلامه ويعيد تشكيل ذاته ومبادئه البحر

في النص يصبح صورة للخلاص، والسفينة الغائبة رمزٌ للأمل المنتظر كما أن اضطراب الفصول في النص (ثلج في تموز وشمس في مارس) يعبر عن اختلال الواقع الذي يعيشه الشاعر، وعن توقه إلى نظام جديد أكثر انسجاماً وعدلاً. من خلال هذه الرموز يبرهن المناصرة على قدرة الرمز الديني في إثراء النص الشعري، حيث تتحول الشخصيات القرآنية (موسى ونوح) والنصوص المقدسة إلى عناصر فاعلة في بناء موقفه الشعوري والفكري فهو يوظفها ليس باعتبارها حوادث تاريخية جامدة بل بوصفها إشارات رمزية حية تتجدد مع كل قراءة ما يعكس وعي الشاعر بالتراث وقدرته على توظيفه في سياق حدائي يخاطب الإنسان المعاصر.

2. الرمز الأدبي في شعر عز الدين المناصرة

يُعدّ التراث الأدبي العربي من أغنى الخزائن الفكرية والإبداعية التي تركها الأجداد للأجيال اللاحقة فقد شكّل الشعراء والكتّاب القدامى بما حملوه من تجارب إنسانية صادقة وصراعات وجودية مريرة، معيناً لا ينضب للمبدعين المحدثين وعز الدين المناصرة أحد هؤلاء الشعراء الذين وجدوا في تجارب أسلافهم من الشعراء مرآة لنواتهم ومجالاً خصباً للتناسل الإبداعي الذي يعيد إنتاج التجربة القديمة في قالب معاصر ليمنحها بعداً جديداً نابضاً بالحياة ومن أبرز النماذج التي وظّفها المناصرة: العرجي و علي بن الجهم لما وجد فيهما من تقاطعات إنسانية وشعرية مع تجربته الخاصة.

1.2. استدعاء العرجي

العرجي شاعر عاش تجربة النفي والسجن والتشرد، ومع ذلك ظل ثابتاً صبوراً حتى حقق مجداً شعرياً خالداً وقد وجد المناصرة في شخصيته وتجربته صورة تشبه معاناته الذاتية، إذ يقول مستدعيًا صوته الشعري:

مضت سنتان.. قالت جدتي وبكت

وأعماهي

يهزون المنابر، آه ما ارتجوا

ولا ارتاعوا

مضت سنتان

قال الشاعر المنفي حين بكى:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا⁷

هنا يضمن المناصرة بيت العرجي الشهير:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريمة وسيداء تُعَرَّ⁸

ويمتزج صوت المناصرة بصوت العرجي في وحدة شعورية متكاملة حيث يتلاقى الماضي بالحاضر عبر الألم المشترك والمعاناة المتكررة العرجي ضاع بين قومه في لحظة حاجة والمناصرة ضاع بين قومه أيضاً وهو يواجه التشرد والغربة والخذلان فالوقوف النفسي واحد والشاعر المعاصر يعيد إنتاج التجربة الوجدانية القديمة ليجعلها جزءاً من كيانه الشعري والإنساني.

2. استدعاء علي بن الجهم

لم يقتصر المناصرة على العرجي، بل وجد في تجربة علي بن الجهم ما يعكس غربته وألمه، ويشابه شعوره بالخذلان والانتقطاع عن الجذور الأولى يقول المناصرة:

وأظن وبعض الظن سراب أن علي بن الجهم يشابهني
أرعى في جبل الملح شجيرات الشيح
حين ركبنا الناقة أقصد أسوار حدائقهم
أنكرني النهر وأنكرني الجسر وأنكرني الشعراء الوقاويون
حينئذ قررت الهرب إلى الداخل
فهناك الكنعانيات يللمن الدمع ويقصصن جدائل
حتى نشعل نيران الثلج ونغسل رمل القلب⁹

هنا يبرز المناصرة إحساسه بالاعتراب المكاني والنفسي مشبها تجربته بتجربة علي بن الجهم الذي ذاق الغربة حين انتقل من بيئته الصحراوية إلى بيئة حضرية غريبة عنه رفضه المحيط الجديد (النهر، الجسر، الشعراء الوقاويون) دفعه إلى العودة إلى الداخل، إلى الجذور الأصلية (الكنعانيات) التي تعيد له الانتماء والدفع. يؤكد توظيف المناصرة للرمز الأدبي أنه لا ينظر إلى الشعراء القدامى بوصفهم شواهد تاريخية جامدة، بل يرى فيهم شركاء في التجربة الإنسانية، وصوتا يمد الجسور بين الماضي والحاضر، فالتناص مع العرجي وعلي بن الجهم لا يأتي لمجرد الاقتباس أو الزينة الفنية، بل لتأسيس موقف وجودي يعكس آلام الغربة والخذلان وحنين العودة إلى الذات الأصلية وبذلك يصبح الرمز الأدبي عند المناصرة آلية لتوسيع الدلالة الشعرية وربط التجربة الفردية بالتاريخ الأدبي الجمعي.

3. الرمز التاريخي في شعر عز الدين المناصرة

يحتلّ الرمز التاريخي مكانة بارزة في شعر عز الدين المناصرة، إذ يفتح أمام تجربته آفاقاً رحبة للتعبير عن مواقفه ورؤاه تجاه الواقع المعاصر فالتاريخ بالنسبة إليه ليس مجرد ماضٍ ساكن، بل طاقة رمزية تستحضر مواقف البطولة والكرامة في مواجهة حاضر مليء بالخذلان والضعف ومن أبرز الشخصيات التي وظّفها المناصرة في هذا السياق شخصية طارق بن زياد، القائد الإسلامي الذي ارتبط في الذاكرة العربية بفتح الأندلس وإحداث تحول حضاري فارق في تاريخ الأمة.

استدعاء طارق بن زياد

يستحضر المناصرة صورة طارق بن زياد ليعبر من خلالها عن حلمه بعودة نموذج القائد القوي القادر على التغيير، ثم يقارن بين هذه الشخصية النموذجية وبين الواقع العربي المأزوم فيقول:

سأكون جاهزا لإطلاق النهر

إذا أمر السيد

أما إذا لم يأمر

فسأذهب إلى مقهى الأندلس

أدق كأس بكأس طارق بن زياد

وأقول: اتبعيني أيها المدينة

بنطلون الكرمل، غيمة ساحلية

وعينه اشتياق اليد في الليالي الراحات

لأفاعي الماء 13

يظهر في النص البعد الرمزي المزدوج: النموذج التاريخي: طارق بن زياد رمز الإرادة الحرة والشجاعة والقيادة الحكيمة¹⁰.

الواقع المعاصر: إنسان عربي خاضع للأوامر فاقدره على المبادرة مستسلم للتبعية.¹¹

هنا يسخر المناصرة من حالة الضعف والتبعية التي يعيشها العربي المعاصر (جاهز لإطلاق النهر إذا أمر

السيد) أي أنه أداة بلا إرادة، في مقابل طارق بن زياد الذي تحركه روح الفتح والتحرير.

أما مقهى الأندلس فيرمز إلى الحنين للحضارة العربية الإسلامية التي بلغت أوجها في الأندلس، لكنه حنين مزوج بالحزن والسخرية إذ لم يعد الواقع قادراً على إنتاج أمثال طارق بن زياد حتى مشهد دق الكأس بالكأس يوحي بمرارة الإحباط، وكأن الأبحار تحولت إلى ذكرى تُستحضر في جلسات العزلة والتأمل لا في ميادين الفعل والتغيير. يكشف هذا النص عن رؤية المناصرة النقدية الحادة للواقع العربي، حيث تتحول الرموز التاريخية إلى مرايا يرى من خلالها الانحدار الحاد بين الماضي البطولي والحاضر المأزوم؛ فالرمز التاريخي لا يُستحضر هنا كتجميل لغوي أو زخرفة شعرية، بل باعتباره أداة مقارنة ووسيلة شحن وجداني تدفع القارئ لإدراك حجم الفجوة الحضارية وبذلك ينجح المناصرة في جعل التاريخ عنصراً فاعلاً في بنية النص، يضيء دلالاته وينقل رسالته النقدية بشكل غير مباشر.

د. الرمز الأسطوري في شعر عز الدين المناصرة

يُعد الرمز الأسطوري من أبرز الظواهر الفنية في شعر عز الدين المناصرة، حيث يجد فيه الشاعر مساحة واسعة لإعادة صياغة التجربة الإنسانية من منظور رمزي يفتح آفاقاً متعددة الدلالات للمناصرة لا يستحضر الأسطورة كما هي في سياقها الأصلي فحسب، بل يقوم بعملية إعادة بناء فيعيد تشكيلها بما يتوافق مع همومه وتجربته الخاصة محققاً بذلك ما سباه هو نفسه "أسطورة اليومية والشعبي والتاريخي"¹⁴ وقد اتجه المناصرة خصوصاً نحو الأساطير الكنعانية والعربية، مبتعداً عن الأساطير اليونانية الكلاسيكية ليؤكد ارتباطه بتراثه المحلي والهوية الحضارية لأمتة.

رمز زرقاء اليمامة

تُعد زرقاء اليمامة من أهم الرموز الأسطورية التي وظفها المناصرة في شعره وزرقاء اليمامة كما هو معروف في التراث العربي، هي المرأة التيل اشتهرت بحدة بصرها وقدرتها الفائقة على استشراف الخطر قبل وقوعه غير أنّ قومها لم

يصدقوها فكانت النتيجة أن حلت بهم الكارثة يرى المناصرة في زرقاء اليمامة رمزا للرؤية النافذة والقدرة على قراءة المستقبل، ولكن أيضا رمزا للحيرة والخذلان الذي يتعرض له صاحب الرؤية حين لا يجد آذانا صاغية¹².

يقول المناصرة في قصيدته "زرقاء اليمامة:"

لكن يا جفرا الكنعانية

قلت لنا إن الأشجار تسير على الطرقات

كجيش محتشد تحت الأمطار

أقرأه سطرا سطرا رغم التمية

لكن يا زرقاء العينين ويا نجمة عمتنا الحمراء

كنا نلهث في صحراء التيه

كيتامى منكسرين على مائدة الأعمام

ولهذا ما صدقك سواي لهذا كنث الناجي¹³

في هذا النص يدمج المناصرة بين زرقاء اليمامة وجفرا الكنعانية (الرمز الشعبي الفلسطيني) فيخلق شخصية مركبة تمثل البصيرة والقدرة على الإنذار من جهة والالتقاء الفلسطيني المقاوم من جهة أخرى هذه الشخصية تتنبأ بالخطر (الأشجار التي تسير على الطرقات كجيش محتشد) لكن قوما مثل قوم زرقاء اليمامة لا يصدقونها فيكون الشاعر وحده من يصدق ويحذر، ومن ثم يكتب لنفسه النجاة الرمزية بينما يسقط الآخرون في "صحراء التيه".

يتضح هنا أن المناصرة يستثمر الرمز الأسطوري لتأكيد رؤيته النقدية للواقع الفلسطيني والعربي ولتجسيد اغترابه الفكري والنفسي في مواجهة جماعة غير واعية بالمستقبل أو غير قادرة على استيعاب نذر الخطر ويعود ذلك إلى تجربة المناصرة الشخصية في العربة والتشرد والنفى والتي ولدت لديه إحساسا ثقيلا بعدم الاندماج في المنفى ما جعله يبحث في التراث عن رموز بصرية إنذارية قادرة على التعبير عن قلقه وهواجسه.

يعكس هذا التوظيف الأسطوري قدرة المناصرة على إعادة إنتاج الرمز وإدماجه في نسيج تجربته الشعرية الخاصة، بحيث يغدو النص نفسه جزءا من الأسطورة الجديدة، لا مجرد استحضار لها فهو ينقل زرقاء اليمامة من مجالها الأسطوري القديم إلى مجال سياسي وجودي معاصر، يجعلها أقرب إلى رمز للمثقف الرائي أو الشاعر المستشرق الذي يهتمش صوته في ضجيج الواقع هذه المعالجة تمنح النص طاقة رمزية مفتوحة تجعل الأسطورة وسيلة لفهم الحاضر واستشراف المستقبل لا مجرد موروث جامد.

الخاتمة

في نهاية هذه الورقة البحثية يتضح لنا أن تجربة عز الدين المناصرة الشعرية هي تجربة فريدة من نوعها في مسار الشعر العربي الحديث، لما تنطوي عليه من انغماس في التراث وتوظيف واسع له بمستوياته المتعددة: الديني والأدبي والتاريخي والأسطوري فقد تجلّى من خلال قراءتنا أن المناصرة لم يتعامل مع التراث تعاملًا سطحيًا أو زخرفيًا بل نظر إليه باعتباره حاضرا فاعلا في تشكيل الهوية ومصدرا ملهما للرؤى والأفكار، وأداة أساسية لإعادة صياغة الوعي الجمعي؛

فالتراث لديه ليس مجرد ماضٍ ساكن أو شواهد تاريخية محفوظة في الكتب، بل هو طاقة متجددة توجه الحاضر وتبني المستقبل بما يحمله من رموز ودلالات قادرة على بعث الحياة في القصيدة الحديثة ومنحها بعدا جاليا ومعرفيا في آن. لقد أوضح البحث كيف استثمر المناصرة الرمز الديني عبر توظيف النصوص القرآنية والشخصيات النبوية والقدسية فجاءت هذه الرموز وسيلة للتعبير عن معاناته الذاتية وهموم أمته، ولإبراز موقفه النقدي من الواقع العربي، كما بدا في توظيفه لرموز موسى عليه السلام ونوح عليه السلام ليجعل منها تجسيدا لمعاني الصبر والخذلان والأمل بالخلاص كذلك اتضح أن المناصرة قد استحضرت الرموز الأدبية مثل العرجي وعلي بن الجهم فاستمدت منها القوة على مواجهة واقع النفي والتشرد الذي عاشه، وجعل تجربته امتدادا لتجارب شعراء سبقوه في المعاناة والصراع والإصرار على إثبات الذات؛ أما الرموز التاريخية فقد مثلت لديه أفقا رحبا لبناء خطاب شعري متصل بجذور الأمة وانتصاراتها، كما في استدعائه لطارق بن زياد وما يرمز إليه من عزيمة الفاتحين وإرادة التغيير، وهو بذلك يعكس إحساسه بغياب هذه الروح عن الإنسان العربي المعاصر الذي صوره ضعيف الإرادة ومسلوب الشخصية؛ وإلى جانب هذه الرموز، وظف المناصرة الرمز الأسطوري فاستعاد الأساطير الكنعانية والعربية وابتكر ما سماه "أسطورة اليومي" فجعل من الأسطورة أداة لرؤية الواقع وتفسيره واستشراف المستقبل، وقد ظهر ذلك بوضوح في استحضاره لشخصية "زرقاء اليمامة" التي حملت معاني استشراف الخطر والتحذير من الكوارث قبل وقوعها، في حين لم يجد هذا التحذير صدى إلا عند الشاعر نفسه، وهو بذلك يعلن عن شعوره بالغربة الفكرية والخذلان من الآخرين.

إن هذه الاستعمالات الرمزية المتنوعة تشير إلى أن المناصرة لم يكن مجرد شاعر يوظف التراث من باب التجميل النصي أو الإيحاء الثقافي، بل كان يحمل مشروعا شعريا واعيا يقوم على إعادة قراءة التراث وإحيائه في ضوء أسئلة العصر، فجاء شعره ميدانا للتفاعل بين الماضي والحاضر بين الذات والهوية الجمعية وبين الهم الشخصي والهم القومي ومن خلال هذا التفاعل أسس المناصرة بنية شعرية أصيلة ذات ملامح خاصة استطاعت أن تضعه في موقع ريادي داخل حركة الشعر العربي الحديث خاصة في إطار شعر التفعيلة الذي شكل وعاء مناسباً لتجربته التعبيرية وفلسفته في الكتابة.

وتبرز نتائج هذا البحث أن المناصرة لم يكتف بآن يكون امتدادا شكليا لرواد شعر التفعيلة الذين سبقوه، بل قدّم إضافة نوعية تمثلت في وعيه بقدرة الشعر على أن يكون جسرا بين الماضي والحاضر، بين الذاكرة الجماعية وتجربة الفرد وهو ما انعكس على مستوى اللغة والصورة الشعرية التي امتزج فيها الرمز التراثي بالوجدان المعاصر امتزجا أذاب الحدود التقليدية بين الأزمنة وفتح أمام القارئ فضاء واسعا للتأويل والتفاعل هذه القدرة على تحويل التراث إلى مادة حيّة متجددة تعبّر عن الراهن والمستقبل، هي التي منحت شعر المناصرة طابعه الخاص وجعلته علامة بارزة في المشهد الشعري العربي منذ ستينيات القرن العشرين حتى اليوم.

ومنه يمكن القول إن عز الدين المناصرة نجح في تحويل التراث من "متحف للأفكار" إلى "نظرية للعمل" ومخزون رمزي فاعل في تشكيل النص الشعري المعاصر فقد وظف هذا التراث بوصفه إطاراً ثقافيا ومعرفيا يسند التجربة الشعرية وركيزة جالية تتقاطع فيها الرموز الدينية والأدبية والتاريخية والأسطورية ليقدم من خلالها رؤية جديدة للواقع

والهوية والإنسان ومنه فإن شعر المناصرة يُعدّ مثالا بارزا على قدرة الشاعر العربي الحديث على استلهام ماضيه ليعيد تشكيل حاضره ويؤسس للجاليات جديدة تتفاعل مع أسئلة المرحلة وهو ما يجعله أحد أبرز الأصوات التي أسهمت في تطوير الشعر العربي والارتقاء به نحو آفاق أكثر اتساعا.

هوامش:

- ¹ ينظر: مراد وهبة، 2007، المعجم الفلسفي، ، د.ط، مصر، دار قباء الحديثة، ص179
- ² محمد عابد الجابري، 1991، التراث والحداثة، ط1، لبنان، مركز الدراسات العربية، ص21.22
- ³ ينظر: حسن حنفي، 1981، التراث والتجديد، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ص13.
- ⁴ التطاوي عبد الله، 1998، المعارضات الشعرية: أنماط وتجارب، القاهرة، دار قباء، ص84.
- ⁵ عز الدين المناصرة، 2001، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص168.
- ⁶ . المصدر نفسه، ص604
- ⁷ . المصدر نفسه، ص161
- ⁸ العرجي، 1998، ديوان العرجي، جمعه وحققه وشرحه سميع جميل الجبيلي، ط1، بيروت، دار صادر، ص246.
- ⁹ عز الدين المناصرة، 2001، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص725.
- ¹⁰ المصدر نفسه، ص490
- ¹¹ المصدر نفسه، ص ص20-24.14
- ¹² الكركي، 1989، الرموز التراثية العربية في الشعر العربي المعاصر، بيروت، دار الجيل، ، عمان، ومكتبة الرائد العلمية، ص107.
- ¹³ عز الدين المناصرة، الأعمال الشعرية الكاملة، ص47.

قائمة المراجع:

- مراد وهبة، 2007، المعجم الفلسفي، ، د.ط، مصر، دار قباء الحديثة.
- محمد عابد الجابري، 1991، التراث والحداثة، ط1، لبنان، مركز الدراسات العربية.
- حسن حنفي، 1981، التراث والتجديد، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر.
- التطاوي عبد الله، 1998، المعارضات الشعرية: أنماط وتجارب، القاهرة، دار قباء.
- عز الدين المناصرة، 2001، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- العرجي، 1998، ديوان العرجي، جمعه وحققه وشرحه سميع جميل الجبيلي، ط1، بيروت، دار صادر.
- عز الدين المناصرة، 2001، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الكركي، 1989، الرموز التراثية العربية في الشعر العربي المعاصر، بيروت، دار الجيل، ، عمان، ومكتبة الرائد العلمية.